



جامعة القاضي عياض  
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

مجلة العلوم الإنسانية

# خفاف

مجلة علمية محكمة



العدد الخامس - 2020

# صفاف

مجلة علمية محكمة

العدد الخامس - 2020

مجلة فصلية علمية ومحكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة القاضي عياض - مراكش - المغرب

المدير : عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

عبد الرحيم بنعلي

المنسق العام : جمال راشق

اللجنة العلمية

السيدات والسادة الأساتذة:

GRAVARI BARBAS Maria, IREST, Université Paris 1 Panthéon-Sorbonne, France, ELLOUMI Mohamed, INRAT, Tunisie, LAOUINA Abdellah, CERGéo, Université Mohamed V Rabat, DEARBIEUX Bernard, Université de Genève, Suisse, NAVARRO PALAZON Julio, Escuela de Estudios Arabes des Granada, CSIC, Espagne, SKOUNTI Ahmed, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, GIRAUT Frédéric, Département de Géographie, Université de Genève, Suisse, HERNANDEZ ARMENTEROS Salvador, Universidad de Granada, Espagne, BOUBRIK Rahal, Département de Sociologie, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Mohamed V de Rabat, TOZY Mohamed, UMRVIP et Sciences po, Aix en Provence, France, PULVAR Olivier, Université Antilles-Guyane, Centre de Recherche sur les Pouvoirs Locaux dans la Caraïbe – CNRS UMR 8053, HILLALI Mimoun, Institut Supérieur International de Tourisme, Tanger, Maroc, PERALDI Michel, directeur de recherche au CNRS et Centre Jacques Berque pour le développement des Sciences Sociales à Rabat (Maroc), BOUMAZA Nadir, Université Pierre MENDES France- Grenoble 2, LANDEL Pierre – Antoine, CERMOSEM, UJF, Mirabel – France, PECQUEUR Bernard, Institut de Géographie Alpine, PACTE (UMR CNRS 5194 – Université J. Fourier, Grenoble – France).

لجنة التحرير

السيدات والسادة الأساتذة

جمال راشق - خديجة الزاهي - سعيد بوجروف

عبد الرحيم بنعلي - محمد موهوب

عناوين التواصل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صندوق بريد 3737

أمرشيش - 40000 مراكش - المغرب

الهاتف : 00212524302742 الفاكس : 00212524302039

البريد الإلكتروني : revueflm@gmail.com الموقع : http://www.flm.uca.ma.ac

الإيداع القانوني : 2018PE0010

ردمك : 2605-6410

لوحة الغلاف للفنان ماحي بنين

تعبر المقالات عن آراء أصحابها فقط



Rue Abou Oubaida, Cité Mohammadia, Marrakech  
Tél : 05 24 30 07 74 / 05 24 30 25 91  
Fax : 05 24 30 49 23 - Email : iwatany@gmail.com

دجنبر 2020

مجلة العلوم الإنسانية

ظفاف

مجلة علمية محكمة

## شروط النشر

- مجلة ضفاف مجلة علمية محكمة تعنى بنشر الأبحاث والأعمال التي تدخل في مجال العلوم الإنسانية.
- مجلة فصلية.
- تنشر المجلة مقالات ودراسات وأبحاثاً أصلية لم يسبق نشرها ولا تقديمها للنشر.
- تخضع الأعمال المقترحة للنشر لشروط البحث العلمي المتعارف عليها من حيث التوثيق وذكر المصادر والمراجع المعتمدة.
- تعبر الأبحاث المنشورة بالمجلة عن آراء أصحابها.
- تقدم الأبحاث في نسخة مطبوعة ونسخة إلكترونية.
- تلتزم المقالات بالمعايير التقنية للنشر بالمجلة، فتكتب المقالات العربية بخط 14 Sakkal majalla والمقالات بالحرف اللاتيني بخط 11 Times New Roman.
- تكتب الهوامش أسفل الصفحة بخط 10 Times New Roman.
- ينبغي ألا تزيد صفحات البحث عن 20 صفحة.
- يذكر الباحث اسمه واسم بنية البحث والجامعة-المؤسسة التي ينتمي إليها في الصفحة الأولى.
- يقدم الباحث ملخصاً لبحثه مستقلاً عن المقال.
- يكتب ملخص للبحث بلغة غير اللغة التي كتب بها.
- تخضع المقالات والبحوث المقدمة للمجلة للتحكيم، ويلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون في أجل أقصاه 15 يوماً بعد توصله بها.
- تحتفظ المجلة بحقوقها في عدم نشر أي بحث لا يستجيب لشروطها.
- لا ترد الأبحاث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- تحتفظ المجلة بحقوق التأليف وإعادة النشر الورقي أو الإلكتروني للمقالات المنشورة بها.
- المقالات المقدمة للنشر لا يجب أن تنتهك حقوق مؤلفين أو ملكية أطراف آخرين.



مجلة العلوم الإنسانية

# ضفاف

مجلة علمية محكمة

العدد الخامس - 2020

إصدار كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة القاضي عياض - مراكش - المغرب



## شكر

تتقدم هيئة تحرير مجلة "ضفاف" للعلوم الإنسانية  
بخالص تشكراتها لكل من ساهم في إغناء هذا العدد،  
كما توجه شكرها الجزيل للأستاذة الأجلة الذين لم  
يتراءوا في قراءة المقالات وتقييمها وتعميمها.

هيئة التحرير



# فهرس المحتويات

- كلمة العدد.....9
- عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
- 11..... نحو عقلنة اختيار المسارات الدراسية تلاميذ البكالوريا نموذجا
- يمينة ميري/ حنان ازعيتر
- 43..... هل نشهد نهاية السيكلوجيا المعرفية؟
- جميلة أحمد بية
- 57..... تقييم الموارد المائية والتكيف مع التغيرات المناخية.
- عبد القادر محمد الخراز، عزي هبة الله شريم،  
خالد محمد مكي
- التجمعات العمرانية السكنية بالشاوية الساحلية والتحديات البيئية:
- 79..... دراسة حالات بساحل الشاوية
- عبد المجيد هلال
- 107..... جوانب من تاريخ رواق المغاربة بالأزهر الشريف
- توفيق القبايبي

المسألة القانونية وقضايا العدل والعقاب والصفح في فكر بول ريكور .....137

أحمد فرحان

قراءة في كتاب بين مثابتين .....159

محمد لشقر

الهوية ورهان الصراع من أجل الاعتراف .....179

الطبيبي الحيدي

قراءة في رسالة حي بن يقظان لابن طفيل مشكل التواصل في الفكر الإسلامي .... 209

مهدي سعيدان

مواجهة "الحقيقة المزدوجة" لدى ابن رشد، الأكوييني وغاليلي:

من أجل حيز للعقل الإنساني .....237

يوسف العماري

# قراءة في كتاب "بين مثابتين: منزلة الغزالي في فلسفة ابن رشد"

لؤلفه محمد مساعد

محمد لشقر

جامعة مولاي اسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس

## ملخص

بعد صدور مقال الأستاذ جمال الدين العلوي المعنون (الغزالي والخطاب الفلسفي في الغرب الإسلامي: الغزالي وتشكل سنوات الخطاب الفلسفي لابن رشد)، والذي بسط بين ثناياه وجهة نظره حول حدود وطبيعة حضور الغزالي لدى فلاسفة الغرب الإسلامي عموماً وابن رشد خصوصاً، سينبري الأستاذ محمد مساعد (وهو أحد تلامذته) لتعميق النظر في هذه المسألة وفق رؤية ألفيناها جديدة ما تلبث تتقاطع مع سابقتها في أمر حتى تنفصل عنها في أمور.

يسود إجماع شبه تام في أوساط الباحثين حول حضور توجيه إيديولوجي خضعت له فلسفة الشارح الأكبر تحت تأثير حجة الإسلام، وهو الأمر الذي يكشفه الصراع الشهير بين الرجلين لا سيما في التهافتين، كما يسود شبه إجماع على الحضور الأصولي لأبي حامد في فكر قاضي قرطبة خاصة مع إقدام أبي الوليد على اختصار مستصفي الغزالي. لكن ما لم يكن من الممكن الانتصار له، وهذا أحد أبرز معالم جدة رؤية الأستاذ محمد مساعد للإسهام الغزالي في الفلسفة الرشدية، هو القول بالحضور الفلسفي الغزالي في المشروع الرشدي. يرى محمد مساعد أنه لا يجب فهم حضور الغزالي في الرشدية في شقه الإيديولوجي فقط، لأن هناك عمق فلسفي للعلاقة بين الرجلين، بل إن هذا الحضور يتوزع على عدة مستويات منها الأصولي، السيكيو/إيديولوجي، والفلسفي. تحضر هذه المستويات ضمناً أو صراحة في كل لحظة من لحظات المسار الفكري لابن رشد، لكن مع هيمنة واحد منها في كل لحظة، ففي المختصرات يحتل الحضور الأصولي الواجهة، بينما في فترة التلاخيص يتصدر الحضور الفلسفي غيره من المستويات، في حين يسود الفاصل الغزالي الحضور السيكيو. إيديولوجي.

الكلمات المفتاحية: ابن رشد - الغزالي - المختصرات - الغرب الإسلامي



## **Résumé**

Des années après la publication de l'article du professeur Jamal Al-Din Al-Alaoui intitulé (Al-Ghazali et le discours philosophique en occident islamique: Al-Ghazali et la formation du discours philosophique d'Averroès), dans lequel il a exposé sa vision sur les limites et la nature de la présence d'Al-Ghazali auprès des philosophes de l'Occident islamique en général et d'Averroès en particulier, le professeur Mohammed Mousaid (Et il est l'un de ses étudiants) a tenté dans ce nouveau livre d'approfondir la réflexion sur cette question selon une vision renouvelée.

L'auteur de cet ouvrage estime que la présence d'Al-Ghazali dans la pensée d'Averroès ne doit pas être comprise uniquement sous l'aspect idéologique, car il existe une profondeur philosophique de la relation entre les deux hommes. En plus, cette présence est répartie à plusieurs niveaux, y compris le Usul, le psycho / idéologique et le philosophie.

Mots clés: Averroès - Al-Ghazali - commentaires - L'Occident islamique

## **Abstract**

Some years after the publication of the article by Professor Jamal Al-Din Al-Alaoui entitled (Al-Ghazali and the philosophical discourse in the Islamic West: Al-Ghazali and the formation of the philosophical discourse of Averroes), in which he expounded his point of view on the limits and the nature of the presence of Al-Ghazali with the philosophers of the Islamic West in general and of Averroes in particular, Mohammed Mousaid (one of his students) in his new book, tried to shed more light on this issue according to his new vision.

The author of this book believes that the presence of Al-Ghazali in the thought of Averroes should not be confined only from the ideological aspect, because there is a philosophical depth of the relationship between the two men. This presence is distributed over several levels as: the Usul, the psycho / ideology and the philosophy.

**Key words:** Averroès- Al-Ghazali - commentary - The Islamic West

## مقدمة

تتميز كتابات محمد مساعد بقلتها، فإلى جانب مجموعة من المقالات المنشورة في عدد من المجلات والجرائد،<sup>1</sup> أصدر سنة 2013م كتابه الأول الموسوم بـ "العالم بين التناهي واللاتناهي لدى ابن رشد" عن دار الفارابي ببلنن، والذي هو في الأصل أطروحة لنيل الدكتوراه، وقد نوقشت سنة 2005م تحت إشراف أستاذنا أحمد العلمي حمدان. ثم سنة 2014م نشر عمله الثاني المعنون بـ "بين مثابتين: منزلة الغزالي في فلسفة ابن رشد"، والذي تكلفت بنشره دائرة الثقافة والإعلام في حكومة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة ضمن سلسلة إصدارات الشارقة عاصمة الثقافة الإسلامية 2014م. وهذا العمل في الأصل هو بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا نوقش سنة 1992م تحت إشراف جمال الدين العلوي (ت. 1992). أشير إلى أن عنوان العمل "بين مثابتين" ليس من وضع، بل هو من اقتراح الناشر، وقد استحسنه محمد مساعد وأقره. يحيل لفظ المثابة لغة على وسط البئر ومكان جموح الماء فيها، كما تعني مكان اجتماع الناس بعد تفرقهم، أو الموضوع الذي يرجع إليه مرة بعد أخرى، ومنه الآية "وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً".<sup>2</sup> فكان المقصود في العنوان بالمثابتين الغزالي وابن رشد، فكل منهما مثابة نرجع إليه المرة بعد الأخرى. ثم في بداية سنة 2016م كان ظهور آخر إسهامات، وهو عمل جماعي عبارة عن فهرسة للتحقيق الذي أنجزه أستاذنا أحمد العلمي حمدان لكتاب "لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول" للمكلاطي (ت. 626هـ/1237م).<sup>3</sup>

سنوات بعد صدور مقال الأستاذ جمال الدين العلوي المعنون (الغزالي والخطاب الفلسفي في الغرب الإسلامي: الغزالي وتشكل الخطاب الفلسفي لابن رشد)<sup>4</sup>، والذي بسط بين ثناياه وجهة نظره حول حدود وطبيعة حضور الغزالي لدى فلاسفة الغرب الإسلامي عموماً وابن رشد خصوصاً، سينبري الأستاذ محمد مساعد (وهو أحد طلبته) لتعميق

<sup>1</sup> نذكر على سبيل المثال مجلات في الفلسفة: مجلة الجمعية المغربية لمدرسي الفلسفة، مجلة وليلي (مجلة المدرسة العليا للأستاذة بمكناس)، مجلة صورة، موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود...

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 128.

<sup>3</sup> المكلاطي، أبو الحجاج يوسف، لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، تحقيق أحمد علمي حمدان، فهرسة محمد مساعد، حاتم أمزيل، محمد لشقر، منشورات قطب التميز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 2016م.

<sup>4</sup> العلوي، جمال الدين، الغزالي والخطاب الفلسفي في الغرب الإسلامي: الغزالي وتشكل الخطاب الفلسفي لابن رشد، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ع. 8، 1406هـ/1986م.

النظر في هذه المسألة وفق رؤية ألفيناها جديدة ما تلبث تتقاطع مع سابقتها في أمر حتى تنفصل عنها في أمور.

### 1- في منهج الدراسة

يحرك هذا العمل هاجس رشدي بالأساس، حيث احتفى واضعه بكيفية تشكل الفلسفة الرشدية عبر فحص الأسس التي تقوم عليها والمعاليم التي تكتسبها والاتجاه العام الذي يوجهها من خلال تحديد مختلف ومجموع العناصر المشكلة لها ومساءلة هذه العناصر عن مدى وعن أهمية مساهمة كل منها في بناء وتركيب الرشدية ككل. ومن هنا كان السؤال عن الحيز الذي يشغله أبو حامد كما، والتأثير الذي يمارسه كيفاً على الفلسفة الرشدية.<sup>1</sup> يعلن محمد مساعد، منهجياً، أنه وفي غياب أي مرجع أو كتاب يثير إشكال منزلة الغزالي في فلسفة ابن رشد، سيجعل من أعمال جمال الدين العلوي لرصانتها هاديه الأول.<sup>2</sup> ينطلق هذا البحث من مصادرتين هامتين، أولاهما أن هناك حضوراً واضحاً ومباشراً للغزالية في الرشدية وذلك إقرار لا يكاد يختلف حوله اثنان من المهتمين بتاريخ الفلسفة الإسلامية وبالعلاقة بين ابن رشد والغزالي بوجه خاص، والثانية وهي من الاجتهادات الخاصة بالأستاذ جمال الدين العلوي مؤداها أن هذا الحضور يمتد من لحظة ميلاد المشروع الرشدي إلى لحظة اكتماله أو بالأصح لحظة اقترابه من كماله الأخير.<sup>3</sup>

كما ينطلق هذا البحث من فرضيتين اثنتين، هما: أولاً تعدد وتباين وجوه الحضور الغزالي لدى ابن رشد، فهو حضور فلسفي وأصولي وبسيكو-إيديولوجي، ثانياً اختصاص كل واحد من هذه المستويات بمرحلة معينة من تطور مسار المشروع الرشدي مع عدم استبعاده للمستويين الآخرين، ففي شق من مرحلة المختصرات حيث مختصر المنطق ومختصر المستقصى يهيمن الحضور الأصولي، بينما يسود المختصرات الطبيعية والميتافيزيقية الحضور الفلسفي، في حين يتصدر الفاصل الغزالي الحضور السيكو-إيديولوجي.<sup>4</sup> ولاختبار فرضيات البحث واستشراف مقاصده يعود مساعد إلى نصوص أبي الوليد أولاً، خاصة تلك التي يستدعي فيها حجة الإسلام، كما يسترشد ببعض كتابات

<sup>1</sup> مساعد، محمد، بين مثابيتين: منزلة الغزالي في فلسفة ابن رشد، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط. 1، 2014م، ص. 17-18.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 32.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 25-26.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 26.

الغزالي الضرورية في تقديره. بيد أن الوقوف على المعطيات المباشرة للنصوص لا يعني الاستكانة إلى موقف ظاهري في معالجة الموضوع.<sup>1</sup> وعليه تأرجحت الدراسة بين كونها وصفية تبحث في المكون الغزالي ودوره في تشكل الفلسفة الرشدية، عبر تقطيع وعزل مختلف مكونات النص الرشدي المدروس، وكونها قراءة إشكالية تشخيصية استكشافية، تعمل على إثارة المشاكل أكثر مما تبحث عن الحلول، أو تزعم إضفاء الاتساق على ما ليس هو كذلك.<sup>2</sup>

في أفق تأسيس فهم جديد للعلاقة بين ابن رشد وأبي حامد، يضع هذا العمل الأصبع على السمات الفلسفية للحضور الغزالي لدى ابن رشد.<sup>3</sup> إن المجال الفعلي للقاء أبي الوليد بأبي حامد، في تصور محمد مساعد، هو تاريخ الفلسفة، لذلك مثل "التهافت" و "تهافت التهافت" مواجهة بين فيلسوفين لا مواجهة بين فيلسوف ومتكلم، والتي هي مجرد صورة تراثية بكل معنى الكلمة.<sup>4</sup> لقد اجتهد محمد مساعد لقلب تلك الرؤية المتداولة، في تاريخ الفكر الإسلامي، عن علاقة ابن رشد والغزالي، والتي ينظر إليها على أنها علاقة طلاق بائن، فالعلاقة بين الفيلسوفين ليست قطيعة بالغة منتهأها، كما أراد لها تاريخ بكامله أن تكون<sup>5</sup>، بقدر ما هي علاقة استمرار تحكمها القطيعة وعلاقة قطيعة لا يعوزها الاستمرار، فهي استمرارية لاندراجها في تاريخ الفلسفة، وهي قطائعية لانشطارها الفلسفي.<sup>6</sup>

لا يجب، إذن، فهم حضور الغزالي في الرشدية في شقه الإيديولوجي فقط كما اعتقد العلوي، وهو أمر ليس بالخطأ، لكن هناك عمق فلسفي للعلاقة بين الرجلين، فالصراع الرشدي الغزالي لم يكن صراعا دينيا، سواء بالمعنى الفقهي أو بالمعنى الكلامي.<sup>7</sup> لقد مثل أبو حامد، في حكم مساعد، عنصر وحدة في المتن والفلسفة الرشديين، لكن دون

<sup>1</sup> نفسه، ص. 32.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 34.

<sup>3</sup> نفسه، ص. ص. 18-19.

<sup>4</sup> نفسه، ص. ص. 19-21.

<sup>5</sup> ظل تأريخ الفلسفة الإسلامية رهين تصوّر استشراقي رسم معالمه المستشرق الألماني دي بور في كتابه تاريخ الفلسفة في الإسلام، حيث يزعم هذا الأخير أن الغزالي بنقده للفلسفة في التهافت وجه ضربة قاصمة للفكر الفلسفي في أرض الإسلام لتتحول لحظة الغزالي إلى لحظة بداية لنهاية الفلسفة في الثقافة الإسلامية (دي بور ب. ج، تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله للعربية وعلق عليه عبد الهادي محمد أبو ريبة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، 1981 م، انظر الفصل الأول من الباب الخامس والذي أفرد المؤلف كلية للحديث عن الغزالي، ص. ص. 316-355)، وهو طرح في نظرنا يحتاج إلى مزيد بحث وتمحيص.

<sup>6</sup> مساعد، محمد، بين مثابنتين: منزلة الغزالي في فلسفة ابن رشد، م. م. ص. 20.

<sup>7</sup> نفسه، ص. ص. 20-21.

أن يتحول أبو الوليد إلى مجرد حامل للمشروع الغزالي. بقدر ما يقرب الغزالي أبا الوليد من أرسطو بقدر ما يتيح له من إمكانات الانفكاك عنه رغم ما تشي به مواقف فيلسوف قرطبة من الاندغام بمواقف المعلم الأول.<sup>1</sup>

اختصارا يتبنى محمد مساعد أطروحة مفادها أن الحضور الغزالي لدى أبي الوليد ممتد منذ بداية مشروعه الفلسفي والفكري العام حتى فترات كماله الأخير، حيث تعددت مستويات هذا الحضور بين الأصولي، والسيكو-إيديولوجي، والفلسفي. تتوزع هذه المستويات ضمنا أو صراحة في كل لحظة من لحظات هذا المشروع، لكن مع هيمنة واحد منها في كل لحظة<sup>2</sup>. ومنه، جاء البحث مقسما إلى ثلاثة فصول فرضها تفرع الحضور الغزالي لدى ابن رشد إلى ثلاثة مستويات، الأول أصولي، وهو يمثل جانبا من لحظة المختصرات في الفكر الرشدي، بينما اختص الفصل الثاني بالحضور الفلسفي، وهو يغطي مرحلة المختصرات مع ما يتداخل معها من مرحلة التلاخيص، مع إمكانية امتداده إلى مرحلة الشروح، أما الفصل الثالث فاعتنى بالحضور السيكو-إيديولوجي الغزالي لدى ابن رشد، وهو يغطي لحظات الفاصل الغزالي والتي تمثل المعبر إلى الشروح خاتمة المشروع الرشدي.<sup>3</sup>

ننبه على أنه من عناصر تميز العمل دعواه أن ليس بين المختصرات والجوامع فارق، بل هي هي، فالمشروع، في حكم محمد مساعد كان واحد والمرامي متماهية<sup>4</sup>، وهو بهذه الدعوى يتجاوز التميز الذي سنه جمال الدين العلوي بين المختصرات والجوامع في المتن الرشدي، حيث يدعو مساعد إلى الدمج بينهما بناء على منطلقات جديدة وعد بتضمينها كتابا مستقلا سماه المستدرك على المتن الرشدي.<sup>5</sup>

## 2- الغزالي والحضور الأصولي عند ابن رشد

شكل اكتشاف مخطوط مختصر المستصفي عامل إغناء وإخصاب للعمل بكامله لا سيما الفصل الأول منه والمرتبط بالحضور الأصولي، خاصة مع الفقر الكبير في الدراسات

<sup>1</sup> نفسه، ص. 31.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 31.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 152.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 35.

<sup>5</sup> نفسه، ص. 13.

وهو العمل الذي صدر بعد وفاة مساعد وفق المعطيات التالية:  
مساعد محمد، المستدرك على المتن الرشدي، دفاثر مختبر الفاعليات الفلسفية والاجتماعية والثقافية، منشورات المدرسة العليا للأساتذة، مكناس، ع. 3، 2017.

الرشدية على مستوى الواجهة الأصولية الفقهية للفكر الرشدي لأن نص أبي الوليد الفقهي الوحيد الذي كان متداولاً بين الدارسين في هذا الباب هو بداية المجتهد إلى حدود اكتشاف مختصر المستصفي<sup>1</sup>.

بإقبال الشارح الأكبر على اختصار المستصفي، مثل الغزالي أحد المكونات الأساسية للرشدية زمن المختصرات خاصة في الأصول. معنى ذلك أن قاضي إشبيلية وقرطبة لم يجد في من تقدمه من الأصوليين من أنجز عملاً في مستوى مستصفي أبي حامد من إخراج أصول الفقه محرراً صناعياً بمثل الدقة المتمثلة في هذا الكتاب بالمقارنة إلى سواه من النصوص الأصولية أي بمراجعة مأخذ ابن رشد عليه بهذا الصدد، مع العلم أن هذا الحضور يتقلص إلى مجرد الضروري لا الأفضل، خاصة وأن المغاربة لم يكونوا يجودون في علمي الخلاف والأصول بصفة عامة<sup>2</sup>. لم يكن برهان الجويني (ت. 478هـ) ليعوض مستصفي الغزالي لأن أبا المعالي كثيراً ما انساق في مواجهات كلامية جعلت عمله لا ينضبط لشرط الضروري والكافي الذي اعتمده فيلسوف قرطبة برنامجاً للكتابة والتأليف خلال مرحلة المختصرات حيث بدت رغبة ابن رشد واضحة في تأسيس الأصول بعيداً عن الشوائب اللغوية والكلامية<sup>3</sup>. سيشكل المستصفي، في انحيازه الشافعي

(ت. 204هـ) ونزعتة التوفيقية الموفقة، ضالة ابن رشد، التي سيتمكن، بالعثور عليها، من الانعتاق من سجن الانغلاق المذهبي الضيق، نحو الآفاق الرحبة والموصولة لمختلف المذاهب الفقهية الأصولية<sup>4</sup>. تتبدى غزالية أبي الوليد في مختصر المستصفي بوضوح في إلحاحه المستمر على رفض حجية الإجماع استناداً إلى أبي حامد، ومن ثم ضداً لا على أبي حامد وحده فحسب، ولكن في مواجهة فقهاء المالكية القائلين به<sup>5</sup>.

يعود محمد مساعد لينمينا إلى أنه ليس ممكناً الحديث عن حجية أبي حامد الأصولية عند ابن رشد بإطلاق كما قد يفهم ذلك من مجرد إقبال أبي الوليد على اختصار مستصفي أبي حامد، فهي ليست حجية بغير حدود<sup>6</sup>. زيادة في البسط نقول، قد يشكل المختصر في المنطق ومختصر المستصفي كلا واحداً، بل وربما كتاباً واحداً بحسب الفهم

<sup>1</sup> نفسه، ص. 35-39-40.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 88-89.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 60-61-62.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 71-72.

<sup>5</sup> نفسه، ص. 73.

<sup>6</sup> نفسه، ص. 103.

الغزالي الدامج بين المنطق والأصول في المستصفى. ومنه يخلص محمد مساعد إلى أن المختصر في المنطق قد تم تأليفه بتوجيه ولو غير مباشر وغير معلن من أبي حامد ومستصفاه، إنه رد فعل رشدي ضد خلط أبي حامد المنطق بالأصول، على اعتبار أن من أراد أن يتعلم أشياء كثيرة في وقت واحد لم يتعلم منها شيئاً<sup>1</sup>.

يأتي ابن رشد على ذكر حجة الإسلام في المختصرات المنطقية في موضعين، الموضع الأول يستشهد فيه ابن رشد بموقف الغزالي الذي يذهب إلى أنه لم يجمع بعد على ما هو الإجماع. أما الموضع الثاني فيصادق فيه ابن رشد أيضاً على قول أبي حامد الذي يصرح بأن طريق الخواص في التصديق هو غير طريق المتكلمين الذي هو طريق جمهوري<sup>2</sup>. في هذا السياق المنطقي، يوافق أبو الوليد أبا حامد الرأي في تميز الخاصة عن العامة من حيث طرق التصديق، وهذا التصور سيغدو من المعالم الكبرى والثوابت الجوهرية الهامة للرشدية فيما بعد حيث سيلج ابن رشد في الفصل والكشف، على اختلاف أمزجة الناس وتباين طرقهم في التصديق، فهناك الخاصة ولهم البرهان، والعامة وهم يقتصرون على السفسطة وما دونها من شعر وخطابة وأقصى مراتبهم في التصديق الجدل<sup>3</sup>.

يسجل محمد مساعد من جهته أن استدعاء ابن رشد للغزالي في المختصر في المنطق كان في سياق أصولي وليس في سياق منطقي، بل إنه يضرب صفحا حتى عن مجرد تخطئته، وهذا الأمر يفيد، في تصوره، عدم اعترافه بحججته المنطقية<sup>4</sup>. لا يمكن لابن رشد أن يستسيغ ما يذهب إليه الغزالي من الاعتقاد بذرائعية المنطق، كما لا يمكن أن يوافق البتة على مطابقة المنطق، خاصة في قسم البرهان، مع علم الكلام أو إحالته، من ثم، إلى مجرد جدل كما يفعل حجة الإسلام. إن تأليف ابن رشد للمختصر في المنطق مع تجاهله لأبي حامد المنطقي يفيد، في حكم محمد مساعد، عدم اقتناع ابن رشد بحجج الغزالي المنطقية عكس ما عليه الأمر في الأصول، حيث بحث لنفسه عن أئمة آخرين أوثق أقوالا من الغزالي في المنطق. لذلك سيغدو المختصر رد فعل ضد تأليف حجة الإسلام المنطقية وتجاوزا لها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص. 119.

يصرح فيلسوف قرطبة بأن مختصره "يشبه المختصر من جهة حذف التطويل والمختصر من جهة التتميم والتكميل" (نفسه، ص. 104).

<sup>2</sup> نفسه، ص. ص. 121-122.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 122.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 123.

<sup>5</sup> نفسه، ص. ص. 124-125.



بالرغم من أن الطابع الأصولي، في اعتقاد محمد مساعد، كان هو المهيمن على الحضور الغزالي لدى ابن رشد زمن المختصرات، فإنه لا يلغي الحضورين السيكو-إيديولوجي والفلسفي بقدر ما يعمل على الحيلولة بينهما وبين تصدر الواحد منهما واجهة ذلك الحضور.<sup>1</sup>

### 3- الغزالي والحضور الفلسفي عند ابن رشد

في حكم محمد مساعد، تعد مرحلة المختصرات الطبيعية والميتافيزيقية، مع ما يتداخل معها من مرحلة التلاخيص، أكثر دلالة على الحضور الفلسفي الغزالي لدى ابن رشد من لحظة المختصرات المنطقية والأصولية. وإذا كان هذا الحضور الفلسفي زمن المختصرات المنطقية يتخفى خلف واجهة أصولية وخلفية سيكو-إيديولوجية لا تقل احتجابا عنه، فإننا ها هنا، أي لحظة المختصرات الطبيعية منها والإلهية، فضلا عن التلاخيص، نعثر بالفعل، وبما يكفي من الاطمئنان، على الحضور الفلسفي المكشوف، خاصة مع تقلص استدعاء ابن رشد للغزالي أصوليا، في بداية المجتهد مع نقده إياه وتشكيكه في نقوله عن الشافعي<sup>2</sup>. أما الحضور السيكو-إيديولوجي فهو وإن كان حاضرا إلا أنه لا يقدم نفسه بما يلزم ويكفي من وضوح ويسر<sup>3</sup>.

تمثل لحظة المختصرات الطبيعية والإلهية لحظة نقل الأرسطية أو تجريدها من الأقاويل الجدلية للإبقاء فيها فقط على ما تحتويه من أقاويل علمية، ومن ثم إخراج القول الفلسفي الأرسطي مخرجا برهانيا، عبر بيان ما يثوي فيه من الأقاويل ذات الانتماء إلى دائرة العلم والبرهان، دون تلك التي تنتهي إلى مجال الجدل وما دونه<sup>4</sup>. في هذا السياق كان الغزالي، في حكم محمد مساعد، أحد الحوافز الأساسية لانتصار ابن رشد لأرسطو، ومن ثم لأرسطية أبي الوليد ككل، لكن ليس في الجوامع دون المختصرات وإنما فيهما معا، من منطلق أنهما نمط واحد من الكتابة لدى ابن رشد، مما يجعل حجة الإسلام أحد المكونات المركزية للفلسفة الرشدية، وسيؤهله ليلقي بظلاله على كل لحظات تطور المشروع الرشدي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص. 146.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 149.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 150.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 151.

<sup>5</sup> نفسه، ص. 157.

إن انزياح ابن سينا عن الأرسطية نحو الفيضانية والأفلاطونية هو ما جعل ابن رشد يرد انتقادات الغزالي لابن سينا باعتبارها تلزم الشيخ الرئيس لا المعلم الأول، لذلك اتخذ الحضور الغزالي الفلسفي صورة توجيه لأبي الوليد إلى تحاشي السينوية والفيضانية والأفلاطونية نحو الأرسطية.<sup>1</sup>

يسجل محمد مساعد هيمنة المهادنة على الموقف الرشدي من الغزالي في مختصر ما بعد الطبيعة كما في مختصر المنطق، لكنها مهادنة لا تبقى عند عتبة الموافقة والمجاراة، بل تتجاوزها إلى حدود الدفع بالموقف الرشدي إلى مجانبة اتجاه فلسفي محدد، والانخراط من ثم في اتجاه آخر مخالف له، ولا يمكن خلطه أو اشتباهه به. سوف يسير الغزالي بابن رشد نحو تحاشي السينوية إلى معانقة الفلسفة الحق، والتي لا يمكن أن تكون عند أبي الوليد إلا الفلسفة الأرسطية. إن نقد الغزالي لابن سينا من أهم العوامل التي وجهت ابن رشد نحو أرسطو، ومن ثم انفصاله لا عن ابن سينا فحسب وإنما عن نظرية الفيض ومستلزماتها في تاريخ الفلسفة الإسلامية ولو بصورة تدريجية<sup>2</sup>. إنه الأمر نفسه الذي ينطبق على الجوامع حيث سيظل حضور الغزالي فيها باستمرار المؤشر الذي يقيس عليه أبو الوليد، ومن خلال مجموع انتقاداته لابن سينا والفلسفة الفيضانية، لا سيما في تهافت الفلاسفة، مدى وفائه لأرسطو الحق كما يفهمه ويراه ومدى حياده عنه وانزلاقه من ثم إلى ما عداه من المواقف سواء كانت أفلاطونية أو سينوية.<sup>3</sup>

إن الحضور الغزالي لدى ابن رشد في مرحلة المختصرات والتلاخيص بوجه خاص يتميز بكونه ذي معالم فلسفية شديدة الوضوح، حيث سينبه أبو حامد ابن رشد في

<sup>1</sup> في مختصر ما بعد الطبيعة، لا يقبل ابن رشد بمواقف ابن سينا لأنها تحيد بالأرسطية عن مسارها الصحيح لتميل بها نحو فلسفة الفيض والفلسفة الأفلاطونية. ستنتهي مسألة العلاقة بين العلم الطبيعي والإلهيات مع الرئيس إلى السقوط في نظرية العقل الفعال باعتباره واهب الصور والوجود لما دونه، مما يجعل البرهان عليه بما هو مبدأ أول لا ينطلق من العلم الطبيعي بل من الميتافيزيقا، وهو أمر لم يكن ليرضي ابن رشد وأرسطو (نفسه، ص. 171). إن الانزياح السينوي عن أرسطو تصوره عملية تجديد الميتافيزيقا، أي "إضفاء سمة الظنية على العلم الإلهي"، وعبرها كل الفلسفة والعلم الأرسطيين (نفسه، ص. 361). كما أن مسألة عرضية الواحد والموجود تؤول بالفلسفة السينوية إلى الأفلاطونية، لأن المبدأ الأول السينوي هو من يمنح الوجود للأشياء التي يعد الوجود صفة زائدة فيها. وهذا ما أقر به أفلاطون عندما جعل عالم المحسوسات لا يكتسب وجوده إلا بفضل عالم المثل خلافا لأرسطو الذي سيترف للعرض (عالم المحسوسات) بالوجود لأن الوجود لديه يقال على الأعراض كما يقال على الجوهر، والذي ينتهي هو أيضا بوجه أو بأخر إلى عالم المحسوسات، مع العلم أن الوجود يصدق على الجوهر أكثر مما يصدق على العرض من حيث هو مقول بتشكيك كما يشرح ذلك مثلا جيلسون (نفسه، ص. 171-172).

<sup>2</sup> نفسه، ص. 177-178.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 178.

مختصر ما بعد الطبيعة كما في المختصرات الطبيعية إلى عدم تطابق السينوية مع الأرسطية، مما سيستدعي ضرورة الكشف عن مواطن زلل الشيخ الرئيس في فهم المعلم الأول. هذا الكشف هو الذي سيتحول، رغم ضبابيته في ذلك، إلى نقد للغزالي ذاته باعتباره أحد منتقدي الأرسطية<sup>1</sup>. وبالجمل فبقدر ما يوجه الغزالي ابن رشد نحو أرسطو فهو أيضا وبموازاة مع ذلك، يبعده عن ابن سينا مع بيان حدود ومستوى ذينك التوجيه والإبعاد، الأمر الذي يعطي للرشدية هويتها المعروفة في تاريخ الفلسفة<sup>2</sup>. إن الحضور الفلسفي الغزالي في فلسفة ابن رشد في لحظات المختصرات هو حضور كلي، ومعنى الكلية، في حكم محمد مساعد، هو كون هذا الحضور يطال النسق الفلسفي الرشدي بكامله لا فقط بعض قضاياها ومسائله، كما نفهم من حضوره في ديباجتي كل من المختصرات الطبيعية ومختصر ما بعد الطبيعة<sup>3</sup>.

عقد الباحث محمد مساعد مجموعة من المقارنات بين الحضور الفلسفي الغزالي وحضور غيره من فلاسفة الإسلام لدى أبي الوليد، وهم الفارابي وابن باجه وابن سينا. وقد خلص منها إلى كون كل من الفارابي وابن باجه يهيمنان على قطاع محدد ومحدود من قطاعات النسق الفلسفي الرشدي، لا على النسق بكامله، بخلاف ما عليه الأمر مع الغزالي، فالفارابي يسجل حضوره الكثيف والقوي في مجال المنطق بينما يحتل ابن باجه أهميته لدى ابن رشد على صعيد العلم الطبيعي، لا سيما في الفيزياء والسيكولوجيا التقليديتين. إن حضورهما هو، في مستوى أول، حضور جزئي مقارنة بحضور الغزالي الكلي، وفي مستوى ثان، حضور قطاعي جهوي وقطاعي حيث لا يلبث ابن رشد مع تطور مساره الفلسفي أن يقطع مع حجة الفارابي المنطقية وحجة ابن باجه الطبيعية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص. 218.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 219..

<sup>3</sup> نفسه، ص. 219.

بسطا لمعنى الكلية، يشهد مختصر ما بعد الطبيعة للحضور الفلسفي الغزالي عند ابن رشد في طبيعته الكلية، أي بما هو حضور يمارس مفعوله لا على انحياز ابن رشد إلى هذه المسألة أو تلك أو إلى هذا الحل أو ذاك من دعاوى الغزالي وحلوله، وإنما على التوجه الفلسفي الرشدي بكامله من خلال الدفع به نحو الأرسطية... مثلا مسألة العلم الإلهي... إذ لا يقول فيها أبو الوليد بمقالة الغزالي الذي يرى أن العلم الإلهي هو علم بالجزئيات، كما لا يذهب فيها مذهب القائلين بأن المبدأ الأول لا يعلم ما دونه، وإنما يتجاوز الموقفين معا ليظهر أن الأمور المفارقة (على أي جهة يمكن فيها أن يقال إنها تعقل الأشياء كلها فإن الأمر في ذلك واحد في جميعها حتى في عقول الأجرام السماوية وعلى أي جهة يقال فيها أنها ليس تعقل ما دونها) (نفسه، ص. 176).

<sup>4</sup> نفسه، ص. 226.

لعل الحضور السينوي يبقى الحضور الفلسفي الوحيد الأكثر قرباً وشبهاً بالحضور الفلسفي الغزالي في فلسفة ابن رشد، ذلك أنه يجمع في طابعه الأول بين الكلية والجزئية، كما يؤلف في جزئه الثاني بين الاستمرارية والانفصال.<sup>1</sup> إن الحضور السينوي، ولو أنه يقترب من الحضور الغزالي في فلسفة ابن رشد على مستوى الكلية، إلا أن هذه الكلية ذاتها تتشخص بالنسبة للحضور السينوي بشكل فعلي في كل مجالات النسق الفلسفي الرشدي منذ بداياته الأولى وحتى نهاياته الفعلية أو المفترضة، بعكس كلية حضور الغزالي التي مع كونها إيجابية فهي لا تتخذ لنفسها تجليات أو مظهرات جزئية ومكتشفة عند هذا المنعطف أو ذاك وبصدد هذه المسألة أو تلك من منعطفات ومسائل الفلسفة الرشدية، وإن كانت ستحقق ذلك نوعاً من التحقق في التهافت، بخلاف ما عليه الأمر في النصوص الميتافيزيقية والطبيعية الخالصة والمتخصصة.<sup>2</sup>

يتيح الكشف عن هذا الحضور الغزالي وطبيعته الفلسفية، في حكم محمد مساعد، إعادة النظر حول لحظة وكيفية انبثاق الموقف الرشدي بما هو قول متميز ضمن المسار العام للفلسفة الإسلامية أولاً وفي سياق المناخ الشامل للأرسطية والمشائية بوجه عام، إذ ستهوى الأطروحات الكلاسيكية حول كيفية تشكل فلسفة ابن رشد بالصورة المعروفة في تاريخ الفلسفة الإسلامية الخاص والعام معاً، حيث عادة ما يعزى ذلك إما إلى مجرد إعجاب محض بأرسطو، أو إلى قرار سياسي لم يكن يسع أبا الوليد إلا الانصياع له مع هيمنة هذا التبرير الأخير على الأول.<sup>3</sup>

يمكننا الغزالي، في اعتقاد محمد مساعد، من إعادة انتماء ابن رشد إلى تاريخ الفلسفة بمعناه الدقيق أولاً، وإلى تربيته الإسلامية ثانياً، مع الاعتراف من ثم بفردة مواقفه ومشروعيتها، وبالتالي أصالتها ضمن السياق الفلسفي العام والخاص لبروز وتطور فلسفة أبي الوليد، ضداً على الطروحات الإيديولوجية التبسيطية والميكانيكية من جهة، وفي مواجهة المواقف الاستنساخية المتهافتة بكل تفرعاتها الاستشراقية وورثتها العربية، من خلال مقارنتها الأفلاطونية لفلسفة الشارح الأكبر، حيث لا ترى فيه سوى شبح أو ظل باهت للمثال كما يتجسد في فلسفة المعلم الأول.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> نفسه، ص. 264.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 265.

<sup>3</sup> نفسه، ص. ص. 265-266.

<sup>4</sup> نفسه، ص. ص. 267-268.

#### 4- الغزالي والحضور السيكو - إيديولوجي عند ابن رشد

أما ثالث أشكال الحضور الغزالي في الفلسفة الرشدية، فهو الحضور السيكو-إيديولوجي، والذي يغطي بالأساس نصوص الفاصل الغزالي أو الثلاثية المشهورة بالإضافة لضميمة العلم الإلهي<sup>1</sup>. من تجليات الحضور السيكلوجي يسجل محمد مساعد تهيب فيلسوف قرطبة، أو على الأقل تحوطه وحذره، من سلطة أبي حامد ومكانته لدى العامة والخاصة وذو السلطان على السواء، بل وربما انبهاره هو أيضا بإشعاع حجة الإسلام<sup>2</sup>.

قد يكون من اليسير أن يلحظ الدارس الحضور الكثيف لأبي حامد في كتاب الكشف عن مناهج الأدلة، إلا أن ما يبعث على الدهشة والاستغراب هو الغرض الذي يعلن عنه أبو الوليد لمصنفه هذا منذ خطبته، حيث يبدو وكأنه لا يمت للهاجس الغزالي بصلة. لذلك يمكن اعتبار الكشف النص الأكثر إشكالا فيما يخص انسحاب مفهوم الفاصل الغزالي عليه رغم ما قد نلتمسه من تبريرات لذلك، إلى حدود أن هذا الكتاب يبدو كأنه نشاز في هذا الفاصل، ولا سيما أنه يحتل الحلقة الوسطى من حيث زمن كتابته بين الفصل والتهافت<sup>3</sup>.

يستشعر القارئ للكشف قلقا بصدد الغاية من وضع وتأليف الكشف، وهي حسب المؤلف فحص (الظاهر من العقائد التي قصد الشرع حمل الجمهور عليها، ونتحرى في ذلك كله مقصد الشارع بحسب الجهد والاستطاعة). لكن ينبهنا محمد مساعد إلى أن هناك مقصدين آخرين غير هذا الغرض التمهيدي المعلن، وهما أولا مناهضة كل الاتجاهات المذهبية الإسلامية، الكلامية منها والصوفية، سواء منها الواقفة عند الظاهر كالحشوية أو الموعلة في الباطن<sup>4</sup>، ثم ثانيا مواجهة الغزالي في فهمه الخاطئ حول تضاد الحكمة والشرعية<sup>5</sup>.

نحن إذن، في اعتقاد محمد مساعد، أمام ثلاثة أغراض كبرى ومعلنة هي أولا إبراز ما ينبغي أن يتشبث به الجمهور من العقائد بحسب ظاهر النصوص القرآنية والحديثية. ثانيا، مواجهة المواقف المختلفة في الإسلام، سواء منها تلك التي ترفض التأويل بإطلاق أو

<sup>1</sup> نفسه، ص. 273.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 277.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 317.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 317-319.

<sup>5</sup> نفسه، ص. 321.

تلك التي تتعامل معه تعاملًا خاطئًا أو غير مشروع، مع التركيز على هذا الصنف الثاني من تلك المواقف. وثالثًا الرد على الغزالي وغيره في تصريحه للعامة بالتأويل وفهمه الزائف للحكمة والشريعة معًا، وحكمه المغلوط، أو المغالط، بأنهما على طرفي نقيض<sup>1</sup>. سيتخذ فيلسوف قرطبة من نقده للأشعرية أداة وجسر عبور لمعالجة الظاهرة الغزالية، لأن مواجهة الغزالي تقتضي ببساطة التصدي للخلفية النظرية التي يتمتع منها بإرجاع أقاويله إلى أصولها "الحقة" لمصارعتهما وبيان ما يحكمهما من تهافت<sup>2</sup>.

يصادق محمد مساعد على تسمية نصوص الفاصل الغزالي التي أطلقها جمال الدين العلوي، لأن الهاجس الغزالي كان هو المنتصر خلالها. تستحق بالفعل هذه التسمية<sup>3</sup>. خلال هذه المرحلة حاول ابن رشد عبر حوارهِ/صراعه مع الغزالي إنجاز مهام متعددة، منها تصفية حسابه مع وعيه الفلسفي السابق، ومواجهة الأشعرية، وتحجيم "تمحلات" أو تهجم الفقهاء غير المبررة على الفلسفة والفلاسفة، والكشف عن توفيقيتهم المفتعلة وغير المتوافقة، وعزل العامة عن الاطلاع عن الحكمة...إلى غير ذلك من المقاصد والغايات، حيث تبقى هذه المقاصد، في تصور محمد مساعد، تجليات ومفعولات للهاجس الغزالي<sup>4</sup>.

مكن هذا العمل، وفق هذه الرؤية، تحقيق نتائج مهمة، في مستوى أول أصبح ممكنًا إدراج النصوص الشارحة ضمن مناخ إسلامي بتوجيه من الحضور الغزالي، الأمر الذي سيؤكد أهمية هذه النصوص في التعريف بخصوصية الرشدية، ضمن تاريخ الفلسفة عامة، وفي وجهها الإسلامي بوجه خاص. وفي مستوى ثان أصبح جائزًا أو واجبًا إعادة إدماج نصوص الفاصل الغزالي في تاريخ الفلسفة بوصفه تاريخ تقاطب ومواجهة وتصالح أحيانًا بين تيارات فلسفية متباينة. ستصبح، إذن، الفصل والكشف والتهافت نصوصًا فلسفية بالفعل بدل عدها خطابات للعامة أو نصوصًا كلامية<sup>5</sup>. لقد جسد الفاصل الغزالي مسلسلًا للفصل، حيث يتم فصل أبي حامد عن العامة في فصل المقال، وعن الأشعرية في الكشف،

<sup>1</sup> نفسه، ص. 322-323.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 325.

كان المستهدف الأول في الكشف هم الأشاعرة، والذين يدين لهم حجة الإسلام كثيرًا في تشكيل رؤاه ومواقفه. لكن ليس معنى ذلك أن أبا الوليد يقول بأشعرية أبي حامد بإطلاق، وإنما معناه فقط اعتقاده بإمكان تقاطع بعض دعاوى الرجل مع بعض مقالات أبي الحسن. إن أبا الوليد لن يوافق على القول بأشعرية الغزالي المطلقة كما يذهب إليه العديد من الدارسين المعاصرين (نفسه، ص. 324).

<sup>3</sup> نفسه، ص. 383.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 384.

<sup>5</sup> نفسه، ص. 27.

وعن الخاصة وأصحاب الفلسفة الحق في التهافت<sup>1</sup>. يتميز الحضور الغزالي في نصوص الفاصل الغزالي لدى أبي الوليد بكونه متعدد الوجوه حيث يجمع بين سيكولوجي-إيديولوجي وفلسفي معا، وهو ما لا يجتمع للحضور السينوي أو الباجي أو الفارابي الذي يرتد للوجه الفلسفي فقط.<sup>2</sup>

ليست فلسفة ابن رشد هي نصوصه الموضوعية دون الشروح، وليست الشروح هي المعبر الحق عن فلسفة ابن رشد، بل إن الرشدية هي مجموع الشروح والنصوص الموضوعية بما فيها نصوص الفاصل الغزالي، دون تجاهل أهمية المختصرات والتلاخيص في التعرف على الرشدية الناضجة مع استحضر قيمة المراجعة والاستدراك في المتن الرشدي<sup>3</sup>. وفق هذا المنظور، سيمكننا الحضور الغزالي في المختصرات الطبيعية والميتافيزيقية من إعادة دمج الرشدية الشارحة في مناخها الإسلامي. أما الحضور الغزالي في الفاصل فسيمكننا من دمج هذه النصوص ضمن تاريخ الفلسفة بمعناه الدقيق لا سيما عند النظر إليها في بعدها الميتافيزيقي<sup>4</sup>. وعليه، يخلص محمد مساعد إلى استمرار نفس الصورة المرتسمة عن أبي حامد في نصوص ما قبل الفاصل الغزالي، فهو عالم وسفسطائي مشاغب في آن واحد، إنه حضور إشكالي حيث الاحترام والاستخفاف متلازمان.<sup>5</sup>

من أهم خلاصات هذا البحث، كشفه عن الدور الهام للحضور الفلسفي الغزالي في تشكيل معالم الإشرافة الأولى لفلسفة ابن رشد بما هي انحياز للأرسطية والمشائية، أي بما هي ولاء لأرسطو، هذا الولاء الذي سيبقى أبو الوليد وفيا له بشكل أو بآخر على امتداد حياته الفلسفية<sup>6</sup>. نبه، من جانبنا، إلى أن القول بهذه الدعوى كان فيه محمد مساعد مسبقا، حيث رأى مؤرخ العلوم والموسوعي بيير دوهام أن الفلسفة العربية واصلت، إلى حين سيزعم ابن رشد إعادة المشائية الصارمة والعنيدة إلى الصدارة، مجهود الأفلاطونية المحدثة، حيث أنها سعت إلى التوفيق بين الفكر الأفلاطوني والفكر الأرسطي والأصول التي أخذها الإسلام

<sup>1</sup> نفسه، ص. 380.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 384.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 29.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 386.

<sup>5</sup> نفسه، ص. 384.

<sup>6</sup> نفسه، ص. 391.



عن اليهودية والمسيحية في تأليف متناسق، بل لقد اعتبر حجة الإسلام أحد أعلام الأفلاطونية المحدثة العربية، وذلك جنباً إلى جنب مع كل من الكندي، والفارابي، وابن سينا.<sup>1</sup>

سينظر للمشائية المتصلة في صورتها الرشدية على أنها ثمرة رد فعل ضد السحر الذي مارسه الفلسفة القديمة بفضل شكلها الأفلاطوني المحدث التأليفي.<sup>2</sup> وفي توافق مع هذا الرأي يرى محمد مساعد أن الحضور الغزالي في جوامع أبي الوليد كان ليظل باستمرار المؤشر الذي يقيس عليه ابن رشد، ومن خلال مجموع انتقاداته لابن سينا والفلسفة الفيضانية، مدى وفائه لأرسطو الحق كما يفهمه ويراه، ومدى حياده عنه وانزلاقه من ثم إلى ما عداه من المواقف سواء كانت أفلاطونية أو سينية.<sup>3</sup>

يعتقد محمد مساعد أن اختصار المستصفي كان مناسبة لابن رشد ليجدد في علم الأصول، وذلك بتخليصه من الأخلاط والشوائب الكلامية واللغوية والمنطقية وحتى الفقهية، كما كان مناسبة للتجديد في المالكية نفسها بالمناداة إلى الارتقاء لمرتبة الاجتهاد أولاً، محاربة الفوضى المنهجية التي عانى منها الفقه المالكي في عصره ثانياً.<sup>4</sup>

إن هناك بواعث أربعة، في تصور محمد مساعد، وجهت ابن رشد إلى اختصار مستصفي الغزالي بالذات، أولاً استجابة المستصفي لمشروع المختصرات عند ابن رشد، استجابته لرغبة أبي الوليد في التخلص من تشدد وسلطة فقهاء المالكية بالغرب الإسلامي وتمكينه إياه من التحليق في فضاءات المذاهب المختلفة بكامل الحرية والمشروعية. ثانياً موافقة المستصفي لعزم ابن رشد على الادلاء بأرائه حوا انشغالات وهموم العالم الإسلامي، لا سيما منها العقيدية والسياسية. رابعاً انسياقه مع الانهيار العام والولاء الجماعي لحجية الغزالي وإمامته.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> دوايم بيبير، مصادر الفلسفة العربية، ترجمة المرزوقي أبو يعرب، دار الفكر، دمشق، ط. 1، 2005م، ص. 135. سيجعل دوايم من أبي حامد سنيوياً خالصاً يتبع خطو الشيخ الرئيس حذو النعل بالنعل، أمام هذا الكم من المؤثرات، اعتقد مؤرخ العلوم الفرنسي، أن حجة الإسلام ألف تهافت الفلاسفة سنة 488هـ عندما تخلى عن دراسة الأفلاطونية المحدثة ليتفرغ إلى تأمل الحقائق الدينية (نفسه، ص. 246). وفق هذا المنظور سيكون التهافت مسرحاً لعملية النقد تلك، إذ حاول الإمام من خلال هذا العمل بيان تهافت الأفلاطونية المحدثة في توفيقها بين الوحدة المطلقة للسبب الأول، والتعدد والتغير الذي يميز عالم المخلوقات. إنه لا يصدر قطعاً عن الواحد إلا واحد، والمبدأ الواحد واحد من كل وجه، والعالم مركب من مختلفات، فلا يتصور إذن في حكم أبي حامد أن يكون العالم فعلاً لله بموجب أصلهم (نفسه، ص. 248).

<sup>2</sup> نفسه، ص. 42.

<sup>3</sup> مساعد، محمد، بين مثابيتين: مكانة الغزالي في فلسفة ابن رشد (حضور ومساهمة)، م. م. ص. 178.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 73-74-75.

<sup>5</sup> ابن رشيقي المالكي (ت 632هـ)، لباب المحصول في علم الأصول أو مختصر المستصفي للغزالي، تحقيق ثناء محمد علي الحلبي، مكتبة الرسائل الجامعية العالمية، دار النواذر، دمشق، 2014م.

كتعزيز للباعث الرابع، نرى، من جانبنا، أن إقبال ابن رشد على اختصار المستصفى في اعتقادي هو انخراط في تقليد كان رائجا جدا قبل وبعد لحظة أبي الوليد، والشاهد لذلك ما حظي به هذا النص من عناية العلماء تعليقا واختصارا ودراسة حيث تعددت المختصرات التي كتبت للمستصفى من قبل مالكية أهل الأندلس. نذكر على سبيل المثال لباب المحصول في علم الأصول أو مختصر المستصفى للغزالي، والذي هو من تأليف الفقيه الأصولي ابن رشيقي المالكي (ت 632هـ).<sup>1</sup> إن الاحتفاء بنصوص الغزالي كان سمة ميزت تلك المرحلة حيث يرى جمال الدين العلوي أن المناخ الفكري الذي تشكلت فيه بدايات الخطاب الفلسفي في الأندلس كان في مظهر من مظاهره مناخا غزاليا أو قريبا من أن يكون كذلك. من تجليات هذا المناخ الغزالي، نذكر احتفال فقهاء المغرب والأندلس بالإحياء وما آلت إليه الأحداث بعد ذلك (إحراقه)، ثم ردود وفتاوى فقهاء هذه الفترة. لقد أحدث أبو حامد رجة في البيئة الثقافية بالغرب الإسلامي مما أدى إلى خلق مناخ فكري جديد «قد نكون مجازفين بوصفه بالغزالية».<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> نفسه، ص. 88.

<sup>2</sup> العلوي، جمال الدين، الغزالي والخطاب الفلسفي في الغرب الإسلامي: الغزالي وتشكل الخطاب الفلسفي لابن رشد»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ع. 8، 1406هـ/1986م، ص. 17.

## خاتمة

كان القول بوجود حضور فلسفي غزالي لدى ابن رشد هو أهم عناصر الجدة في دراسة محمد مساعد، ذلك أن هنالك إجماع يكاد يكون تاماً حول التوجيه الإيديولوجي الغزالي لفلسفة ابن رشد عبر الصراع الشهير بينهما لا سيما في التهافتين، كما أن هنالك شبه إجماع على الحضور الأصولي لحجة الإسلام في فكر قاضي قرطبة، من خلال شهرة إقدام أبي الوليد على اختصار مستصفي أبي حامد، حيث مكن اكتشاف مختصر المستصفي الباحثين من تقدير حجمه الفعلي وحدوده الممكنة. لكن ما لم يكن من الممكن الانتصار له هو القول بالحضور الفلسفي الغزالي في فلسفة أبي الوليد وهو ما حاول هذا البحث الدفاع عنه ببيان إمكاناته ووجوهه وطبيعته ومن ثم أثره وحجمه في بنية فلسفة الشارح الأكبر.<sup>1</sup>

على سبيل التفاعل مع المضامين التي عرضنا لها أعلاه، في مستوى أول، ننبه إلى كون محمد مساعد قد وزع شتاتاً من القول حول الحضور الكلامي الغزالي في البناء الرشدي على الفصل الأول الخاص بالأصول لمكان التداخل العضوي القائم بين أصول الفقه وأصول الدين في الثقافة العربية الإسلامية، وكما تشهد لذلك الكتابات الأصولية للرجلين. كما خصص الفصل الثالث الخاص بالحضور السيكو-إيديولوجي للنظر في إمكانية الحديث عن حضور كلامي غزالي في الفكر الرشدي. أما في مستوى ثان، فقد أدرج الباحث الحديث عن التأثير الغزالي الكلامي ضمن التأثير السيكو-إيديولوجي، حيث خلص إلى كون أبي حامد قد وجه ابن رشد إلى الاهتمام بالأشعرية، خصوصاً مع الجويني، فدراسة أبي الوليد للكلام، في تصوره، ليست ربما أمراً مقصوداً لذاته، فهو لا يحضر ضمن قائمة أولوياته، إلا بقدر ما يتيح له فهم الغزالية، والقدرة على مواجهتها. كما أن حضور الأشعرية في الكشف هو عرضي، فلعل أبا الوليد لم يكن ليحاوهم لولا ما يدين لهم به أبو حامد من تشكيل لبعض مواقفه. لقد كان لا بد لابن رشد أن يواجه الأشعرية أولاً في الكشف، ليتصدى بعد ذلك للغزالي في التهافت. لكن هذا التصدي لم يكن متاحاً لولا عزل أبي حامد عن أي قريب أو مشارك له في المذهب والرؤية قد يتبناه ويدافع عنه.<sup>2</sup> وفي مستوى ثالث

<sup>1</sup> مساعد، محمد، بين مثابيتين: مكانة الغزالي في فلسفة ابن رشد (حضور ومساهمة)، م. م. ص. 391.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 326-327.

لقد تطور موقف ابن رشد من الأشعرية والاعتزال: نقد ابن رشد للأشعرية في الفاصل الغزالي هو أعنف من نقده للمعتزلة، على خلاف ما كان عليه الحال في "مختصر المستصفي" حيث نقد المعتزلة كان أكثر حدة (نفسه، ص. 359). حول المشروع الرشدي وعلم الكلام يراجع الصفحات: 330-331...337. ثم 356-357...359.

وأخير، يبدو جليا من التصميم أن الكرونولوجيا قد دمغت أمر البناء فانتقلت الدراسة تتاليا بين التلاخيص والمختصرات ثم الفاصل الغزالي والشروح، بموازاة مع كل من الأصول والفلسفة والسيكولوجيا المخالطة للأيديولوجيا. لذلك جاء الحضور الكلامي موزعا بين فصلين، حيث كان من الأنسب، في اعتقادنا، تخصيص فصل مستقل لهذا الضرب من الحضور خاصة وأن ابن رشد انتقد في مواضع عديدة من متنه تصورات الكلام الإسلامي خاصة الأشعرية منها.

لقد اجتهد محمد مساعد لإعادة النظر في العلاقة بين هذين الماثبتين، محاولا رسم فهم جديد لمنزلة أبي حامد ضمن بنية وتطور وتشكل فلسفة أبي الوليد، وكاشفا عن مساهمة الغزالي الإيجابية والفعالية في تحديد معالم الخطاب الفلسفي لابن رشد ومن ثم العديد من مواقفه الفكرية بإطلاق خاصة منها الأصولية والأيديولوجية.<sup>1</sup> لذلك مثل الحضور الغزالي في الفكر الرشدي، في اعتقاده، أحد الدعامات الكبرى لتأسيس القول بوحدة هذا الفكر وذلك المتن.<sup>2</sup> إن الحضور الغزالي في الفكر الرشدي، كما فهمه محمد مساعد، هو حضور إشكالي، بمعنى أننا لا نستطيع فيه تبين موقف رشدي واضح ومحدد من أبي حامد، حيث يترك حجة الإسلام فيلسوف قرطبة مترددا بين احترامه وسوء تقديره، مع ميل كبير لفك عهد الهدنة الذي كانت تفرضه ضرورات تاريخية.<sup>3</sup>

وتبقى أفضل حسنات هذه الدراسة أنها فتحت آفاقا رشدية وغزالية مهمة، حيث، وبتواضع الباحث، يشير محمد مساعد إلى عدة إشكالات رشدية عالقة مثل موضوع الحضور الأصولي الغزالي لدى ابن رشد، وموقف ابن رشد من منطق الغزالي، أنماط حضور باقي فلاسفة الإسلام كالفارابي وابن سينا وابن باجه في الخطاب الفلسفي الرشدي، وموقف ابن رشد من الكلام عموما والأشعرية خصوصا. أما بالنسبة للغزالي، فينبه محمد مساعد لإشكالية علاقته بالمنطق الأرسطي، وموقفه من الفلسفة، وصلاته بعلم الكلام والتصوف.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> نفسه، ص. 389.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 387.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 385.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 392-394-395.

## البيبلوغرافيا

- ابن رشيقي المالكي (ت 632هـ)، لباب المحصول في علم الأصول أو مختصر المستصفي للغزالي، تحقيق ثناء محمد علي الحلبي، مكتبة الرسائل الجامعية العالمية، دار النوادر، دمشق، 2014م.
- دوهاميم، بيير، مصادر الفلسفة العربية، ترجمة أبو يعرب المرزوقي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 2005م.
- دي بور، ب.ج، تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله للعربية وعلق عليه عبد الهادي محمد أبو ريذة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، 1981 م.
- العلوي، جمال الدين، الغزالي والخطاب الفلسفي في الغرب الإسلامي: الغزالي وتشكل الخطاب الفلسفي لابن رشد، ضمن مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد الثامن، 1406هـ/1986م، 15-50.
- مساعد، محمد، المستدرك على المتن الرشدي، دفاثر مختبر الفاعليات الفلسفية والاجتماعية والثقافية، العدد الثالث، 2017، منشورات المدرسة العليا للأساتذة، مكناس.
- مساعد، محمد، بين مثابيتين: منزلة الغزالي في فلسفة ابن رشد، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2014 م.
- المكلاطي، أبو الحجاج، لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، تحقيق أحمد علي حمدان، فهرسة محمد مساعد، حاتم أمزيل، محمد لشقر، منشورات قطب التميز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 2016 م.

# RIVAGES

Revue scientifique à comité de lecture

N° 5-2020

Revue semestrielle, scientifique à comité de lecture, éditée par la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Cadi Ayyad – Marrakech - Maroc

## Directeur

Doyen de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

**Abderrahim BENALI**

## Coordination générale

**Jamal RACHAK**

## Comité Scientifique

**GRAVARI BARBAS Maria**, IREST, Université Paris 1 Panthéon-Sorbonne, France, **ELLOUMI Mohamed**, INRAT, Tunisie, **LAOUNA Abdellah**, CERGéo, Université Mohamed V Rabat, **DEBARBIEUX Bernard**, Université de Genève, Suisse, **NAVARRO PALAZON Julio**, Escuela de Estudios Arabes des Granada, CSIC, Espagne, **SKOUNTI Ahmed**, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, **GIRAUT Frédéric**, Département de Géographie, Université de Genève, Suisse, **HERNANDEZ ARMENTEROS Salvador**, Universidad de Granada, Espagne, **BOUBRIK Rahal**, Département de Sociologie, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Mohamed V de Rabat, **TOZY Mohamed**, UMRVIP et Sciences po, Aix en Provence, France, **PULVAR Olivier**, Université Antilles-Guyane, Centre de Recherche sur les Pouvoirs Locaux dans la Caraïbe – CNRS UMR 8053, **HILLALI Mimoun**, Institut Supérieur International de Tourisme, Tanger, Maroc, **PERALDI Michel**, directeur de recherche au CNRS et Centre Jacques Berque pour le développement des Sciences Sociales à Rabat (Maroc), **BOUMAZA Nadir**, Université Pierre MENDES France- Grenoble 2, **LANDEL Pierre – Antoine**, CERMOSEM, UJF, Mirabel – France, **PECQUEUR Bernard**, Institut de Géographie Alpine, PACTE (UMR CNRS 5194 – Université J. Fourier, Grenoble – France).

## Comité de Rédaction :

Abderrahim BENALI - Jamal RACHAK - Khadija ZAH

Mohamed MOUHOUB - Said BOUJROUF.

## Adresse

Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, B.P. 3737

Amerchich – Marrakech 40000 Maroc

Site web. <http://www.flm.uca.ma.ac> - Email : [revueflm@gmail.com](mailto:revueflm@gmail.com)

Tél. 00212524302742 - Fax 00212524302039

Dépôt Légal : 2018PE0010

ISSN : 2605-6410

**Le tableau en couverture est de l'artiste peintre Mahi Binebine.**

*Les contenus des textes publiés dans la revue n'engagent que leurs auteurs.*



جامعة القاضي عياض  
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

Revue des Sciences Humaines

# RIVAGES

Revue scientifique à comité de lecture



N° 5 - 2020